

التحليل النحوی لآیات الحوار المتشابهه: نقد للنھج الأدبي لمحمد أھم خلف الله

SYNTACTIC ANALYSIS OF SIMILAR DIALOGUE VERSES:

Criticism of Muhammad Ahmad Khalafallah's Literary Approach

M. Nurul Huda

STAI Nahdlatul Ulama Purworejo

Email: alhuda0801@gmail.com

Abstract

This paper examines several verses about stories in the Qur'an that have similar dialogue to uncover a small part of historical facts or values that have been overlooked and considered unimportant by some exegetes in interpreting the stories in the Qur'an. Thus, this study will slightly accommodate the interpretations of classical exegetes who have struggled to present historical evidence in order to defend their belief in the factuality of the stories in the Qur'an. This study is a library research with similar dialogues in the Qur'an as its main object of study. The author uses a syntactic approach in examining similar dialogue verses. Through syntactic analysis, the author identifies the elements that form language units and the role of each element in similar dialogue verses. The Qur'an as a sacred text can be understood in various ways, methods, approaches, and perspectives. Each method has its own advantages and possible weaknesses. One method may have advantages when applied to understanding certain parts of the Qur'an that other methods do not have. However, this does not mean that a method that cannot be used to understand certain parts of the text should be abandoned or not used at all in understanding other parts of the text. The method of understanding the stories of the Qur'an using a historical approach does indeed encounter obstacles in some verses, especially those with similar wording. Therefore, a literary approach is needed to understand some of the stories in these verses. However, this does not mean that the historical approach should be completely ignored when understanding other verses. Understanding with a historical approach, aided by syntactic analysis, has proven to be applicable in understanding verses about stories in verses with similar wording. Thus, a historical approach aided by other analyses is still needed in understanding the problems of interpretation of several verses of the Qur'an, especially about stories, particularly verses with similar dialogue wording.

Keywords: Stories in the Qur'an, History, Syntax, Literature.

Abstrak

Tulisan ini mengkaji beberapa ayat tentang kisah dalam Al-Qur'an yang memiliki redaksi dialog mirip untuk menguak sebagian kecil fakta atau nilai sejarah yang diabaikan dan dianggap tidak penting oleh sebagian mufasir dalam menginterpretasikan kisah-kisah dalam Al-Qur'an. Sehingga kajian ini akan sedikit mengakomodir interpretasi mufasir klasik yang telah berusaha dengan susah payah menunjukkan bukti-bukti sejarah dalam rangka mempertahankan keyakinan tentang

faktualitas kisah dalam Al-Qur'an. Kajian ini merupakan studi pustaka (library research) dengan ayat-ayat berdialog mirip dalam Al-Qur'an sebagai objek kajian utamanya. Penulis menggunakan pendekatan sintaksis dalam mengkaji ayat-ayat berdialog mirip. Melalui analisis sintaksis, penulis mengidentifikasi unsur-unsur yang membentuk satuan bahasa serta peran dari masing-masing unsur tersebut pada ayat-ayat berdialog mirip. Al-Qur'an sebagai teks suci bisa dipahami dengan berbagai cara, metode, pendekatan dan sudut pandang. Masing-masing metode memiliki kelebihan dan mungkin kelemahannya sendiri. Satu metode bisa saja memiliki keunggulan ketika diaplikasikan untuk memahami sebagian teks Al-Qur'an, yang tidak dimiliki oleh metode lain. Namun, tidak berarti suatu metode yang sama sekali tidak bisa digunakan untuk memahami sebagian teks tertentu harus ditinggalkan begitu saja atau tidak digunakan sama sekali dalam memahami sebagian teks lain. Metode pemahaman kisah Al-Qur'an menggunakan pendekatan sejarah memang dalam beberapa ayat mengalami kebuntuan, terutama pada ayat-ayat yang beredaksi mirip. Sehingga diperlukan adanya pendekatan sastra dalam memahami beberapa kisah pada ayat tersebut. Tetapi tidak berarti pendekatan sejarah ini diabaikan begitu saja ketika memahami ayat lain. Pemahaman dengan pendekatan sejarah, dibantu dengan analisa sintaksis terbukti bisa diaplikasikan juga dalam memahami ayat-ayat tentang kisah pada ayat-ayat yang beredaksi mirip. Dengan demikian, pendekatan sejarah dibantu dengan analisa lain masih dibutuhkan dalam memahami problematika penafsiran mengenai beberapa ayat Al-Qur'an terutama tentang kisah, khususnya ayat-ayat dengan redaksi dialog yang mirip.

Kata Kunci: Kisah dalam Al-Qur'an, Pendekatan, Sejarah, Sintaksis, Sastra.

الملخص

تتناول هذه الورقة دراسة بعض الآيات القصصية في القرآن الكريم التي تحتوي على حوارات ذات صياغة متشابهة، وذلك للكشف عن جزء صغير من الحقائق أو القيم التاريخية التي تجاهلها بعض المفسرين واعتبروها غير مهمة عند تفسير القصص القرآني. ستحاول هذه الدراسة استيعاب تفسيرات المفسرين الكلاسيكيين (القدامي) الذين اجتهدوا في إظهار الأدلة التاريخية للدفاع عن عقيدة واقعية القصص القرآني. تعد هذه الدراسة دراسة مكتبية (Library Research) تتخذ من الآيات ذات الحوار المتشابه في القرآن موضوعاً رئيسياً لها. يستخدم المؤلف المنهج النحوي (التحليل النحوی/السينتاكس) في دراسة هذه الآيات. ومن خلال التحليل النحوي، يحدد المؤلف العناصر التي تشكل الوحدة اللغوية ودور كل عنصر من هذه العناصر في الآيات ذات الحوار المتشابه. إن القرآن كنص مقدس يمكن فهمه بطرق ومناهج ومقاربات ووجهات نظر متعددة. كل منهاج له مميزاته وربما عيوبه. قد يكون منهاج معين تفوق عند تطبيقه لفهم بعض النصوص القرآنية، وهو ما لا يملكه منهاج آخر. ومع ذلك، هذا لا يعني أن المنهج الذي لا يصلح لفهم نص معين يجب تركه بالكلية أو عدم استخدامه في فهم نصوص أخرى. إن منهاج فهم القصص القرآني باستخدام المقاربة التاريخية قد يواجه طريقةً مسدوداً في بعض الآيات، خاصة في الآيات ذات الصياغة المتشابهة، مما يستدعي وجود مقاربة أدبية لفهم بعض القصص في تلك الآيات. لكن هذا لا يعني تجاهل المقاربة التاريخية عند فهم آيات أخرى. لقد ثبت أن الفهم بالمقاربة التاريخية، بمساعدة التحليل النحوي،

يمكن تطبيقه أيضاً في فهم الآيات القصصية ذات الصياغة المشابهة. وبالتالي، فإن المقاربة التاريخية المدعومة بتحليلات أخرى لا تزال مطلوبة في فهم إشكاليات التفسير المتعلقة ببعض آيات القرآن، خاصة القصص، وتحديدًا الآيات ذات الحوار المشابه.

الكلمات المفتاحية: القصص القرآني، المنهج، التاريخ، النحو، الأدب، المفسرون، الآيات ذات الحوار المشابه.

مقدمة

يعتقد غالبية المسلمين أن القصص التي يرويها القرآن هي حائق تاريجية حدثت بالفعل في الماضي، وكذلك يعتقد المفسرون. ومع ذلك، شكك بعض الباحثين المسلمين في واقعية بعض القصص في القرآن، بل اعتقدوا أن بعض القصص الموجودة في القرآن هي مجرد قصص خيالية (رمية). من الشخصيات التي شككت في واقعية القصص القرآني هو محمد عبده (1849-1905 م). برأيه، القرآن ليس كتاب تاريخ، وبالتالي فإن القصص فيه لم تُعرض بترتيب زمني لوقوعها (Abduh & Ridha, 1947, hlm. 338). وهناك شخصية إسلامية أخرى لها وجهة نظر مماثلة وهو طه حسين (1889-1973 م)، الذي يرى أن القصص التي يسردتها القرآن لا يمكن الادعاء بأنها أحداث وقعت في التاريخ، وحتى أسماء الشخصيات المذكورة فيها ليست بالضرورة موجودة بالفعل في الماضي.

وتنماشى هذه النظرة مع محمد أركون (1928-2010 م) الذي يرى أن القصص القرآني ليس واقعياً، ولكنه أيضاً ليس خرافاً (Arkoun, 1990, hlm. 87). أما بالنسبة لمحمد عابد الجابري (1935-2010 م)، فإن القصص في القرآن عُرِضت لأغراض الدعاية، وليس لأجل القصة نفسها، ولذلك لم تُعرض بترتيب زمني، بل وفقاً لمراحل الدعاية المحمدية. وهو يرى أن القصص في القرآن مجرد أمثل، ولذلك فإن الحائق التاريجية فيها ليست أمراً يجب البحث عنه (Jabiri, 2008, hlm. 88).

ومن الباحثين الذين لديهم رأي مماثل محمد أحمد خلف الله (1916-1997 م). حيث يجادل بأن صحة القصة التي يقدمها القرآن لا يُنظر إليها بناءً على الحائق التاريجية لتلك القصة، بل تستند صحة القصة في القرآن - برأيه - على صحة الرسالة والأخلاق والقيم التي يقدمها القرآن من خلال تلك القصص. وبرأيه، العنصر التاريجي ليس جوهراً سرد القصة، بل يؤمن بالرسالة الأخرى التي يوصلها القرآن من خلال تلك القصة. لذلك، بالنسبة له، ليس من المهم ما إذا كانت القصة الموجودة في القرآن قد حدثت بالفعل أم لا، خاصة وأن الواقع يشير إلى أن العديد من القصص في القرآن لا يوجد لها دليل تاريجي (Khalafallah, 1950, hlm. 78).

الحجّة التي بناها خلف الله موجهة لنقد المفسرين الذين يجادلون حول القصص التي يرويها القرآن. ومن الأمور التي يجادلون فيها مسألة وقت وقوع حدث ما في القصة، مثل حوار بني إسرائيل في قصة موسى ورغمتهم في رؤية الله جهرة في الآيتين المشابهتين التاليتين:

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمَ إِنَّكُمْ ظَلَمُثُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتْخَادِكُمُ الْعِجْلَ فَتُؤْبُوا إِلَيْ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ أَنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ * وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرًا فَأَخْذَنَّكُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْتَظِرُونَ} (البقرة: 55-54)

{بَسْأَلَكَ أَهْلُ الْكِتَابَ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَيْنَا اللَّهَ جَهْرًا فَأَخْذَنَّهُمُ الصَّاعِقَةَ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا} (النساء: 153)

اختلف المفسرون حول وقت حدوث حواربني إسرائيل ورغبتهم في رؤية الله جهرة. يرى الفريق الأول من المفسرين أنبني إسرائيل قالوا ذلك بعد أن تلقى موسى الأمر من الله بإحضار 70 رجلاً منهم. فلما سمعوا التعليمات، أرادوا رؤية الله مباشرة وقالوا ما ورد في الآية، فأخذتهم الصاعقة بسبب تلك الرغبة.(Naisaburi, 1962, hlm. 35) وفقاً للمجموعة الثانية من المفسرين، وقع هذا الحدث قبل أن يأمر موسى قومه بالانتحار تكثيراً عن ذنبهم في عبادة العجل. ويقول آخرون إن الحوار وقع بعد أن أمر موسى قومه بقتل أنفسهم. وذلك لأن القرآن يذكر أن الحوار بينبني إسرائيل وطلبهم رؤية الله وقع قبل ذلك، تلاه قصة عبادة العجل.(Naisaburi, 1962, hlm. 35).

يجادل خلف الله بأن تسلسل الأحداث في سورة البقرة تم تكييفه مع الهدف الأصلي وهو تذكير اليهود بالنعم التي أسبغها الله عليهم سابقاً لكي يقبلوا محمداً ويحبوه ويدخلوا في الإسلام. ولذلك في سورة البقرة، لا نجد القصص تعرض أحداثاً متسللة ومفصلة. حتى العقوبات التي نزلت عليهم مثل الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم لم تذكر في سورة البقرة. بخلاف القصة في سورة النساء، حيث لم يقصد القرآن تحذير اليهود، بل قصد زرع الخوف في نفوس كفار مكة ليؤمنوا بمحمد ولا يتبروا. ولذلك، تم سرد القصة بشكل مفصل وكامل.(Mursalim, 2017, hlm. 83–106) هذه الحجة تشبه حجة محمد عبده الذي قال إن القرآن لم يقصد قط جعل قصصه نصوصاً تاريخية وعرض الأحداث بترتيب زمني. (Abduh, & Ridha, 1947, hlm. 338)

يعتقد خلف الله أيضاً أنه لدراسة الآيات التي تشير إلى قصة واحدة ولكن بصياغات مختلفة، فإن الأنسب هو المنهج الأدبي وليس التاريخي. على سبيل المثال قصة تحول عصاموسى إلى شaban في الآيات التالية:

1. {فَلَقَى عَصَاهَ فَإِذَا هِيَ ثُعَبَانٌ مُبِينٌ} (الأعراف: 107)
2. {فَلَقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَيْ} (طه: 20)
3. {وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَرَّ كَانَهَا جَانٌ وَلَيْ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ} (النمل: 10) والقصص: (31)

تشير الآيات الثلاث إلى قصة واحدة ولكن بصياغات مختلفة (ثعبان، حية، جان). يفسر خلف الله هذا الاختلاف أديباً. فوفقاً للزمخشري - كما نقل خلف الله - كلمة "حيّة" تطلق على كل أنواع الثعابين، و"ثعبان" للذكر الكبير، و"جان" للثعبان الصغير. (Khalafallah, 1950, hlm. 115) وفقاً لخلف الله، فإن الاختلاف في الصياغة يتماشى مع وصف جمال أسلوب اللغة الذي يمس المشاعر. بهدف وصف القرآن لقصة موسى في سورة القصص إلى إثارة الخوف من جميع الزوابع، أي الكلمات المناسبة للسياق والتي يمكن أن تجعل موسى يهرب

من الحقل من خلال تقديم كلمات لها معنى مخيف في مفهوم البشر. لذلك، تم اختيار كلمة جان. في حين أن القصة في سورة طه تهدف إلى مواساة محمد، وفقاً لافتتاحية هذه السورة:

طه. مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتُشْقَى (طه: 1-2)

ولهذا الغرض، فإن عرض القصة في هذه السورة أكثر دقة، بحيث يمكن أن تلامس أعمق القلوب، وتشعر الروح بالهدوء وتزيل الحزن. لذلك، في هذا السياق، فإن كلمة "الحياة" هي الأكثر ملاءمة ومناسبة (Khalafallah, 1950, hlm. 116).

بناءً على هذا التفسير، يمكن فهم سبب تحول عصا موسى في سورة الشعراة إلى "ثعبان مبين". وفقاً لخلف الله، فإن الإجابة بسيطة، وهي أن فرعون وأتباعه في ذلك الوقت كانوا يشككون في معجزة موسى. لذلك، كان لا بد أن يتحول عصا موسى إلى ثعبان كبير حقيقي. وكان الهدف من ذلك هو تسهيل تحقيق الهدف، وهو إرضاءهم. بناءً على التفسير أعلاه، يمكن أيضاً فهم أن أحد عناصر القصة يمكن وصفه في نسخ مختلفة وفقاً لنية السرد والغرض منه. عند النظر إلى استخدام الصياغة أعلاه، نجد أنها في سياق استخدام لغة مناسبة للغرض. وهذا يعني أن القرآن في القصة أعلاه يروي جميع الأحداث بوصف أدبي وليس بوصف تاريخي (Khalafallah, 1950, hlm. 117).

هذا المنهج الأدبي الذي طرحته خلف الله أعطى أملاً جديداً في عالم التفسير، لكنه واجه انتقادات. هناك مسألتان رئيسيتان: الأولى، أن هذا الرأي قد يبرر اتهامات المستشرقين بأن القرآن من تأليف محمد. والثانية، أنه يعني أن المعلومات في القرآن كذب، لأن المعلومة التي لا تستند إلى حقيقة هي كذب.

علاوة على ذلك، لم يشرح خلف الله بشكل محدد بعض الآيات القصصية ذات الحوار المتشابه التي تشير إلى حدث واحد. لذلك، ستقوم هذه الورقة بدراسة هذه الآيات باستخدام التحليل النحووي لكشف الحقائق التاريخية التي تجاهلها خلف الله، واستيعاباً لجهود المفسرين القدماء.

لا تهدف هذه الدراسة إلى انتقاد جميع أفكار خلف الله في تفسير قصص القرآن. يقتصر المؤلف على تناول بعض التغيرات التي لم يشرحها خلف الله بشكل محدد، ويحاول استخدام نهج مختلف عن نهجه في دراسة آيات القصص، خاصة تلك التي تحتوي على صياغة حوارية متشابهة. هناك العديد من الدراسات التي تنتقد أفكار خلف الله، بعضها مقالات في مجالات مثل "نقد أفكار أحمد خلف الله حول قصص القرآن" للكاتب لاو سوبريادي. ووفقاً له، فإن أوجه التشابه الموجودة بين قصص القرآن الكريم والأعمال الفنية التي كتبها البشر لا يمكن بالضرورة استخدامها لتبرير مساواة قصص القرآن الكريم بهذه الأعمال الفنية. وكما أن الاختلافات الموجودة بين القصص في القرآن والأعمال التاريخية التي كتبها البشر تظهر أنه على الرغم من أن القرآن يحتوي على العديد من العناصر التاريخية، إلا أنه ليس كتاباً تاريخياً، بل كتاباً إرشادياً. لا يمكن تعليم المشاكل الموجودة في الإنجيل، والتي تتطلب من القراء استخدام نهج أدبي لفهمه، وتطبيقها على الكتب المقدسة الأخرى، مثل القرآن. على العكس من ذلك، فإن هذه الظاهرة تثبت وجود عناصر بشرية في نص الإنجيل. (Supriadi, t.t., hlm. 12)

المنهجية

تعد هذه الدراسة دراسة مكتبة (library research) تتخذ من الآيات ذات الحوارات المشابهة في القرآن موضوعاً رئيسياً للدراسة. يستخدم الكاتب مساعدة كتاب "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" لمحمد فؤاد عبد الباقي وكتاب "أسرار التكرار في القرآن" لكرماني للبحث وجمع الآيات ذات الصيغ المشابهة خاصة التي تحتوي على حوارات مشابهة. يستخدم الكاتب المنهج النحوي في دراسة الآيات ذات الحوارات المشابهة. ومن خلال التحليل النحوي، سيقوم الكاتب بتحديد العناصر التي تشكل الوحدة اللغوية ودور كل عنصر من هذه العناصر في الآيات ذات الحوارات المشابهة. بالإضافة إلى ذلك، يستفيد الكاتب أيضاً من مراجع متعددة خاصة كتب التفسير كبيانات داعمة في هذه الكتابة.

النتائج والمناقشة

المنهج الأدبي عند محمد خلف الله

وفقاً لخلف الله، فإن القصص الأدبية – بما في ذلك قصص القرآن – لا يجب أن تكون دائماً مطابقة للأحداث المسجلة في التاريخ. بل يرى أنه بهذا المنهج، سيتعرف القارئ أكثر على الحكمة الكامنة في النص القرآني. استلهم خلف الله من أستاذته، أمين الخلوي، في مواصلة وتطوير "المنهج الأدبي" في فهم القرآن. وهذا ما تجسد لاحقاً في عمل خلف الله المعون "الفن القصصي في القرآن الكريم".

أما التفسير الأدبي الذي قدمه أمين الخلوي فهو تطوير لبعض طروحات محمد عبده، أي "المنهج اللغوي الفني"، الذي تجسد في "تفسير المنار"، وكذلك تفصيل طه حسين لأفكار محمد عبده في "في الشعر الجاهلي". هؤلاء الباحثون الثلاثة، بدءاً بمحمد عبده، وأمين الخلوي، وطه حسين، يمكن القول إنهم يمتلكون رابطة فكرية تجمعهم، رغم وجود اختلاف في الأولويات في بعض الأمور. وبذلك، يمكن القول إن بذرة التفسير الأدبي التي طورها خلف الله تتبع من الخلوي الذي تأثر مع محمد عبده وطه حسين. ويمكن القول بذلك لأن خلف الله في عمله هذا قد استلهم أيضاً من فكر عبده، كما يقتبس منه كثيراً.

المنهج الذي استخدمه خلف الله يعد منهجاً جديداً لم يسبق إليه أحد. ومن خلال هذه المقاربة المنهجية، يرى أنه ستكتشف الكثير من الأبعاد الفنية والأدبية التي يمتلكها القرآن كأحد أدلة إعجازه. وأما خطواته فهي كالتالي:

1. جمع النصوص المراد دراستها.
2. الترتيب الزمني للقصة، والمرجع الرئيسي في هذا المنهج هو القرآن المكي.
3. تفسير النص، وفي هذه الخطوة الثالثة هناك فهمان يجب معرفتهما، وهما: أولاً، الفهم النصي (العرف)، أي فهم الكلمات، وشكل الجمل، وفهم العلاقات بين الكلمات والعلامات التاريخية للنص. ثانياً، الفهم الأدبي، أي القدرة على تذوق الجانب النفسي والمنطقي والفنى الذي يمتلكه النص. بالإضافة إلى ذلك، يجب على المفسر فهم بنية النص التي يعتقد بصحتها والتفسير الكامن وراء تلك البنية.

4. يرى خلف الله أن هذا المنهج الأدبي لا يزال جديداً فيما يتعلق بتفسير القصص في القرآن التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالفن والأدب. لذلك عبر محمد خلف الله عن حزنه، لأن المنهج الذي يعتبره الأنسب قد أهمله الكثير من الناس.
5. تقسيم وترتيب الأبواب، بشكل مترابط ومتواافق مع المنهجية أو الهدف، ليسهل على القارئ الفهم.
6. الأصالة والتقليد. بحيث يمكن معرفة من أين أتى هذا النص ومن صاحبه وما هي الأشياء المقتبسة من أعمال أخرى.

تطبيق المنهج الأدبي لخلف الله

يمكن رؤية تطبيق المنهج الأدبي الذي طرحته خلف الله عندما درس الآيات التالية:

{وَقُلْنَا يَا آدُم اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَأَرَأَاهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِيَعْصِي عَذُونَ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٌ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} (البقرة: 36-35).

قام أحمد خلف الله باستخدام منهجه الأدبي في تفسير قصص القرآن خاصة قصة إخراج النبي آدم من الجنة، وأول ما فعله هو جمع كل الآيات المتعلقة بذلك القصة (طرد آدم من الجنة)، وهي في (البقرة: 36)، (البقرة: 38)، (الأعراف: 24)، (طه: 123). ثانياً، ترتيب التسلسل الزمني للقصة، بدءاً من سورة البقرة: 36. ثم البقرة: 38، ثم الأعراف: 24، ثم طه: 123.

ثالثاً، التفسير. حاول الكثير من المفسرين شرح الآية أعلاه، بل حتى خارج الإسلام قام الكثير بتفسير هذه القصة القرآنية. ويعد ذلك لأن الآية تعد من الإسرائيليات التي تجذب غير المسلمين لفهمها بشكل أعمق. ينطلق اختلاف التفسير في هذه القصة من وجود اختلاف في وصف خروج آدم من الجنة المذكور في القرآن والتوراة. يذكر القرآن أن خروج آدم من الجنة كان بسبب إيليس. بينما تقول التوراة إن الذي أخرجه من الجنة هو ثعبان. (Khalafallah, 1950, hlm. 31) وبالتالي، في النقاشات اللاحقة، أصبح وجود الجنة التي سكنتها آدم هو محل التساؤل الكبير، هل هي الجنة التي وعد الله بها المسلمين يوماً ما، أم هي مكان مختلف له تشابه مع وصف الجنة المعروض في القرآن.

يرى خلف الله أن الفهم الإسلامي انشغل بالعناصر التاريخية كما سبق، ونادرًا ما أعطى المفسرون قدرًا لائقًا لمناقشة الحكم والقيم والرسائل الكامنة في القصة. والخلاصة أنه يمكن القول إن المفسرين الذين استخدموها منهج المقاربة التاريخية قد وقعوا في تفسير غير جوهري. وفي هذا الصدد، ليس لدى خلف الله نفسه وجهة نظر محددة تجاه القصة حول النبي آدم أو الجنة التي سكنتها. (Khalafallah, 1950, hlm. 31)

رابعاً، تقسيم وترتيب الأبواب المترابطة والمتوافقة مع المنهجية أو الهدف¹³⁷. فبناءً على تفسير خلف الله أعلاه، يفهم أن تقسيم الأبواب في سورة البقرة: 36 أعلاه يهدف إلى عتاب من الله سبحانه وتعالى لآدم الذي خالف تحذير الله. ثم سورة البقرة: 38، والأعراف:

24، وطه: 123 تمثل شكلاً من أشكال التسهيل (dispensasi) من الله لآدم وذرته لاحقاً لكي يحصلوا على ما نالوه سابقاً من النعيم الموجود في الجنة.

خامساً، الأصالة والتقليد، أي أن خلف الله يفسر الآيات حول قصة آدم بموضوعية بناء على العلم الذي يملكه في مجال الأدب، حيث لا يفسر بشكل محدد وفقاً للتاريخ كما فعل كثير من العلماء القدامى لأنه برأيه سيصل ذلك إلى طريق مسدود عند إثباته بالبيانات التجريبية. لذلك استخدم المنهج الأدبي في تفسير تلك القصص القرآنية حيث كان مقلداً فيه.

التحليل النحوي للآيات ذات الحوار المتشابهة

على الرغم من أن المقاربة الأدبية التي طرحتها خلف الله تقدم مخرجاً لانسداد أفق المفسرين في دراسة آيات القصص، إلا أن الكاتب يجادل بأن بعض آيات القصص، خاصة التي تملك تشابهاً في الصياغة، يمكن دراستها تاريخياً باستخدام التحليل النحوي. وجد الكاتب عدة آيات قصصية ذات حوارات متشابهة يمكن دراستها باستخدام التحليل النحوي. ويمكن رؤية تلك الآيات في المناقشة التالية:

سورة البقرة آية 126 وسورة إبراهيم آية 35

تمثل الآيتان في سورة البقرة 126 وإبراهيم 35 حوار النبي إبراهيم لربه لكي يجعل المنطقة التي يسكنها آمنة 142. الآيتان هما كالتالي:

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا} (البقرة: 126).

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا} (إبراهيم: 35).

تملك الآيتان أعلاه صياغة متطابقة تقريباً، وتحتفلان فقط في صياغة كلمة (بلد)؛ ففي سورة البقرة جاءت بصيغة النكرة التي تتميز بعدم وجود "ال" التعريف، بينما في سورة إبراهيم جاءت بصيغة المعرفة بوجود "ال" التعريف. تشير الآيتان للوهلة الأولى إلى حدث واحد وهو دعاء إبراهيم بأن يجعل الله المكان الذي يقصده منطقة أو "بلداً" آمناً. (Khadar, 2003, hlm. 53) إن استخدام كلمة (بلد) بصيغة النكرة في سورة البقرة وبصيغة المعرفة في سورة إبراهيم يؤدي نحوياً إلى اختلاف في موقع أو إعراب كلمة (بلد).

كلمة (بلداً) في سورة البقرة موقعها مفعول به ثانٍ، وأما المفعول الأول فهو كلمة (هذا) 147. وكلمة (آمنا) هي نعت (صفة) لـ (بلد). وبذلك يكون معنى الآية: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا} (البقرة: 126); "يا رب اجعل هذا [المكان] بلداً آمناً". كلمة (هذا) التي تعني الإشارة في تلك الآية تشير إلى مكان لم يصبح بلداً بعد 148. كلمة (هذا) التي قصدتها إبراهيم، وفقاً للإسکافي، تشير إلى الوادي بناءً على الآية 37 من سورة إبراهيم: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ...} (إبراهيم: 37).

المقصود بدعاء إبراهيم في سورة البقرة هو أن يجعل الله (هذا) الذي يشير إلى "الوادي" (بلدًا) (آمناً). يظهر الشرح أعلاه أن دعاء إبراهيم في سورة البقرة حدث قبل أن يصبح "الوادي" الذي قصده "بلدًا". (Iskafi, 2001, hlm. 67).

أما المفعول الأول في سورة إبراهيم فهو كلمة (هذا البلد) و(آمناً) هو المفعول الثاني. فيكون معنى الآية: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلْدَ آمِنًا} (إبراهيم: 35); "يا رب اجعل هذا البلد آمنًا". دعاء إبراهيم في هذه الآية قُصد به أن يصير (هذا البلد) (آمناً). لم يعد إبراهيم يشير إلى "وادي" بل سماه مباشرة (هذا البلد)، لأن "الوادي" الذي قصده قد أصبح "بلدًا". عليه، فإن دعاء إبراهيم هذا تم بعد أن أصبح "الوادي" الذي قصده "بلدًا". بناءً على المقاربة النحوية، فإن قصة دعاء إبراهيم في الآيتين تمثلان حدثين مختلفين. وهذا يستوعب رأي النيسابوري الذي يقول إن قصة طلببني إسرائيل رؤية الرب في سورة البقرة والنساء كما ذكر سابقاً هما حدثان مختلفان.

سورة البقرة: 35 والأعراف: 19

آية أخرى هي قول الله لآدم أن يسكن الجنة في سورة البقرة الآية 35 والأعراف الآية 19:

{وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ} (البقرة: 35).

{وَإِنَّ آدَمَ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ} (الأعراف: 19).

الفعل (اسكن) في سورة البقرة أعلاه رُبِط بالفعل (كلا) باستخدام حرف العطف "و"، أما الفعل (اسكن) في سورة الأعراف فُرِبِط بالفعل (كلا) باستخدام حرف العطف "ف". من الناحية النحوية، فإن اختلاف حرف العطف في هذا الربط يتربّط عليه اختلاف في المعنى. العرب تستخدم حرف العطف "و" لبيان وقوع حدثين معاً (مطلق الجمع). أما حرف العطف "ف" فبجانب كونه للتعليق (بيان وقوع حدثين بالتتابع)، يمكن أن يكون للسببية، أي أن الحدث الأول سبب لوقوع الحدث التالي.

وبذلك، فإن الربط باستخدام "و" لا يشترط أن يكون الحدث الذي يقع بعده نتيجة أو أثراً للحدث السابق¹⁶¹. أما الربط باستخدام "ف" فيشير إلى أن الحدث الثاني وقع بعد انتهاء الحدث الأول، أو يمكن أن يكون الحدث الثاني وقع بسبب الحدث الأول. الفعل (اسكن) في الآية يعني "الإقامة" وهو نشاط يشير إلى معنى مدة طويلة نسبياً. وأما الفعل (كلا) فيعني "الأكل". ونشاط "الأكل" في الآية ليس نتيجة لنشاط "الإقامة"¹⁶⁴. لأن نشاط "الأكل" في الآية يحدث أثناء عملية "الإقامة"، وليس بعد الانتهاء من "الإقامة". بعبارة أخرى، نشاط "الأكل" يحدث في وقت متزامن مع نشاط "الإقامة". (Karmani, 1198, hlm. 56). ولذلك، وفقاً للخطيب الإسکافي، فإن الفعل (كلا) في هذا السياق الأنسب أن يُربط بحرف العطف "و" وليس "ف"، كما في الفعل (اسكن) في الآية التالية:

{وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقُرْيَةَ وَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حَطَّةٌ...} (الأعراف: 161).

يختلف الأمر مع الفعل (ادخل) في الآية التالية:

{وَإِذْ فُلِّنَا ادْخَلُوا هَذِهِ الْقُرْيَةَ فَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حَطَّةٌ...} (البقرة: 58).

الفعل (ادخلوا) كجملة أولى في الآية رُبط بالفعل (كلوا) كجملة ثانية باستخدام الحرف "ف" لأن الجملة الثانية في الآية تحدث بعد تنفيذ النشاط في الجملة الأولى. أو يمكن أن تكون الجملة الثانية نتيجة أو حصيلة للجملة الأولى.

أما حالة الفعل (اسكن) المرتبط بالفعل (كلا) باستخدام الحرف "ف" في سورة الأعراف، فبحسب الإسكافي هو للتتوافق مع الآية السابقة وهي:

{قَالَ أَخْرُجْ مِنْهَا مَذْعُورًا لَمَنْ تَعْكَ مِنْهُمْ لَأَمَلَّنَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} (الأعراف: 18).

الآية تمثل أمراً من رب إبليس بالخروج (أخرج) من الجنة. وكلمة (اسكن) في الآية التي تليها هي مواجهة لمعنى كلمة (أخرج) في الآية السابقة. وبعد أن أمر إبليس بـ"الخروج" من الجنة، أعطى رب أمراً لأدم بـ"الدخول" فيها. وبذلك فإن كلمة (اسكن) في هذه الآية تحمل معنى (ادخل ساكناً). وهذا يعني أن أمر رب لأدم في هذه الآية بـ"الإقامة" في الجنة حدث عندما كان آدم لا يزال خارج الجنة¹⁷⁶. الفعل (اسكن) الذي يحمل معنى (دخل) أنساب أن يربط بالفعل (كلا) باستخدام العاطف "ف" لأن نشاط "الأكل" يحدث بعد نشاط "الدخول" أو يمكن أن يحمل معنى أن "الأكل" حدث بسبب "الدخول".

بناءً على التحليل النحوى للأيتين أعلاه، يمكن استنتاج أن الآيتين المتشابهتين جداً ليستا حديثاً واحداً. أمر رب لأدم في سورة الأعراف آية 19 حدث قبل دخول آدم الجنة، بينما في سورة البقرة آية 35 حدث بعد دخول آدم فيها.

سورة البقرة: 58 والأعراف: 161

الآيات ذات الصياغة المتشابهة توجد أيضاً في سورة البقرة آية 58 والأعراف آية 161
كالتالي:

{وَإِذْ فُلِّنَا ادْخَلُوا هَذِهِ الْقُرْيَةَ فَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حَطَّةٌ
تَغْفِرْ لَكُمْ حَطَّايَاتُكُمْ وَسَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} (البقرة: 58).

{وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقُرْيَةَ وَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حَطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
تَغْفِرْ لَكُمْ حَطَّايَاتُكُمْ سَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} (الأعراف: 161).

الآياتان أعلاه، بجانب امتلاكهما تشابهاً في الصياغة، تعدان داعمتين لاكتشاف الكاتب في القصة السابقة. وذلك لأن هاتين الآيتين تستخدمان أيضاً الرابط "و" في آية والرابط "ف" في الآية الأخرى. وشرح هذا الاختلاف مشابه تقريباً للقصة في الآية السابقة. وهو أن أمر الرب لبني إسرائيل في سورة البقرة حدث قبل دخول بنى إسرائيل بيت المقدس لأن الجملة الأولى رُبطت بالجملة الثانية باستخدام الرابط "ف" الذي يفيد معنى وقوع الحدث في الجملة الثانية بعد انتهاء الحدث في الجملة الأولى. بينما في سورة الأعراف حدث بعد دخولهم فيها، لأن الجملة الأولى رُبطت بالجملة الثانية باستخدام الرابط "و" الذي يفيد معنى إمكانية وقوع الحدث في الجملة الأولى بالتزامن مع الحدث في الجملة الثانية.

سورة هود آية 27 والمؤمنون آية 24

صياغة الحوار المتشابهة توجد أيضاً في قصة نوح في سورة هود آية 27 والمؤمنون آية 24 كالتالي:

{فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلًا...} (هود: 27).

{فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ...} (المؤمنون: 24).

تعرض الآياتان قول كبار القوم من قوم نوح الذين أنكروا دعوته. وصياغة الحوار في الآيتين متشابهة بحيث تبدو للوهلة الأولى أنها تروي حدثاً واحداً.

بالنظر من خلال المقاربة النحوية، يمكن شرح الآيتين كالتالي:

المخاطب (المستمع) في قول الملا في سورة هود هو نوح، بينما المستمع في سورة المؤمنون هم قوم نوح. (Tabari, 1992, hlm. 93) تم التعبير عن نوح في سورة هود بالضمير "ك" (الكاف) في محل نصب مفعول به، بينما عبر عن نوح في سورة المؤمنون باسم الإشارة "هذا" في محل رفع مبتدأ.

بناءً على السبب النحوي أعلاه، تروي الآياتان قصتين مختلفتين لكنهما متقاربتان. المتحدث في القصتين واحد، وهو ملا قوم نوح الكافرون. وتختلف الآياتان في المخاطب أو المستمع. ففي سورة هود، يتحدث ملا نوح الكافرون مباشرة إلى نوح، بينما في سورة المؤمنون، يتحدث ملا نوح الكافرون إلى قوم نوح (العامة). من خلال الآيات القصصية ذات الحوارات المتشابهة أعلاه يمكن استخلاص نتيجة مفادها أن المقاربة التاريخية لا تزال ضرورية ومهمة لدراسة القصص في القرآن. دون تهميش للمقاربة التي طرحتها خلف الله، فإن المقاربة النحوية ثبت أنه يمكن استخدامها لدراسة القصص، خاصة القصص ذات الحوارات المتشابهة.

بالطبع هذه الدراسة لا تزال بعيدة جداً عن الكمال، لأن البيانات المقدمة في هذه الكتابة هي ثلاثة أنواع فقط من الحوارات المتشابهة من أصل 6 آيات، لكنها على الأقل يمكن أن تضيف إلى خزانة مقاربات دراسة القصص التي لا تزال مثار جدل حتى الآن.

الخلاصة

القرآن كنص مقدس يمكن فهمه بطرق ومناهج ومقاربات ووجهات نظر مختلفة. كل منهج له مميزاته وربما نقاط ضعفه الخاصة. قد يكون لمنهج واحد تفوق عند تطبيقه لفهم بعض النصوص القرآنية، وهو ما لا يملكه منهج آخر. ومع ذلك، هذا لا يعني أن المنهج الذي لا يمكن استخدامه إطلاقاً لفهم بعض النصوص المعينة يجب تركه بالكامل أو عدم استخدامه بتاتاً في فهم نصوص أخرى. إن منهج فهم القصص القرآني باستخدام المقاربة التاريخية يواجه بالفعل طريقاً مسدوداً في بعض الآيات، خاصة في الآيات ذات الصيغ المتشابهة. مما يستدعي وجود مقاربة أدبية لفهم بعض القصص في تلك الآيات 200. ولكن هذا لا يعني تجاهل المقاربة التاريخية تماماً عند فهم آيات أخرى.

لقد ثبت أن الفهم بالمقاربة التاريخية، بمساعدة التحليل النحوي، يمكن تطبيقه أيضاً في فهم الآيات القصصية ذات الصيغ المتشابهة. وبذلك، فإن المقاربة التاريخية بمساعدة تحليلات أخرى لا تزال مطلوبة في فهم إشكاليات التفسير المتعلقة ببعض آيات القرآن، خاصة فيما يتعلق بالقصص، وتحديداً الآيات ذات الحوارات المتشابهة في صياغتها.

قائمة المراجع

- Abduh, M., & Ridha, M. R. (1947). *Tafsir al-Qur'a>n al-Haki>m al-Mushtahir bi al-Tafsir r al-Mana>r*. Dar al-Manar.
- Arkoun, M. (1990). *Al-Fikr al-Islami: Naqd wa al-Ijtihad*. Dar al-Saqi.
- Iskafi, K. al-. (2001). *Durrah at-Tanzil wa Ghurrah at-Ta'wil*. Jamiah Ummul Qura.
- Jabiri, A. al-. (2008). *Fahm al-Qur'a>n al-Haki>m*. Markaz Dirasat al-Wihdah al-Arabiyah.
- Karmani, M. bin H. al-. (1198). *Asra>r at-Tikra>r fi> al-Qur'a>n*. Darul Fadhilah.
- Khadar, S. (2003). *Al-Tikrar al-Uslubi fi al-Lugah al-Arabiyah*. Dar al-Wafa.
- Khalafallah, M. A. (1950). *Al-Fann al-Qas}as>i> fi> al-Qur'a>n al-Kari>m* (Cet. 1). Maktabah al-Nahd}a al-Misriyya.
- Mursalim, M. (2017). Gaya Bahasa Pengulangan Kisah Nabi Musa As. Dalam Al-Qur'an: Suatu Kajian Stilistika. *LENTERA: Jurnal Ilmu Dakwah dan Komunikasi*, 1(01), 83–106. <https://doi.org/10.21093/lentera.v1i01.831>
- Naisaburi, N. al-D. al-H. ibn M. al-. (1962). *Gara>ib al-Qur'a>n wa Raga>ib al-Furqa>n*. Mustafa al-Babi al-Halabi.
- Supriadi, L. (t.t.). *Kritik Terhadap Pemikiran Ah/Mad Khalaf Allâh Tentang Kisah Dalam Al-Qur'ân*.
- Tabari, I. J. al-. (1992). *Tafsir al-T'aba>ri Ja>mi' al-Baya>n an-Ta'wi>l A>y al-Qur'a>n*. Dar Al-Kitab.